العلم بالمفرد وبالجمع: من أجل نهضة حضارية للأمة
قراءة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله

د. إدريس مقبول
مدير مركز ابن غازي للأبحاث
والدراسات الاستراتيجية
المغرب

[كصنو للإمام الغزالي، يدعو ياسين إلى نهضة في علوم الدين تشمل التعليمات الأخلاقية التي تنادي بالاقتداء بـ "النموذج النبوي"]. **رون هاليير: العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب، ترجمة جمال شحيد.ط1، 2001، ص124**

أسباب الانشغال:

يعتبر المنهاج النبوي عند الأستاذ عبد السلام ياسين نظرية في المعرفة أو أداة للمعرفة[1]، لأنه قدم تصورا عن العلم وأنساقه وما يكون منه نافعا بمعنييه المادي والرمزي وما لا يكون، كما تجاوز بكثير من اجتهاداته مفهوم العقل بمعناه التقليدي الفلسفي أي آلة هذه المعارف الأولى وميزانها كما رسخته الممارسة الفلسفية الأرسطية وما تلاها إلى يوم الناس هذا.

وجدير بالذكر أن اشتغال الأستاذ عبد السلام ياسين بقضية العقل والاتجاهات العقلانية ونقدها يرجع إلى كتاباته الأولى منذ رحلة بحثه عن خلاصه الفردي في رحاب الصوفية ليتطور في رحلة فكرية ممتدة ومثيرة مع عزمه دخول الطور الميداني.

ولا شك أن اهتمام الأستاذ ياسين بعمليات تفكيك العقل الجبار[2]، كما يعرض نفسه في الفلسفات الغربية، كان وراءه بل ومعه وقبله، عملية حفر وبناء وصياغة لإواليات العقل المسلم الذي أخرجه القرآن من أجل المهمة الرسالية العالمية؛ التي يرى الأستاذ ياسين أنها ينبغي أن تبقى مثالية لا يثاقل بها أو يحرفها اشتغال العقل المسلم بقضايا الحكم لأنها من مثالية الإسلام.

وعلى الجملة يمكن أن نتكلم عن دواع أربعة لهذا الاشتغال، اثنان فصليان، وآخران وصليان:

داعيان فصليان:

أ- فصل ما بين الاستبداد والعقل المستقيل؛

إذ كان اشتغال الأستاذ عبد السلام ياسين بنظرية المعرفة من هذه الزاوية ببعدين؛ أحدهما بنيوي معرفي ينتصر للمعرفة وقيمها ونسقها الخادم للسننية كما سيأتي بيانه في المباحث التالية، والثاني سوسيومعرفي يعرض للعلاقة بين المعرفة والسلطة على نحو يتجه لإعادة الدور الفعلي الناقد للعقل ولميثاقية العلم في زمن الخرافة والشعوذة بين يدي أنظمة الاستبداد المفلسة التي تشجع "الجبر"؛ بما هو عقل هش ومعرفة ميتافيزيقية مخدرة، تستهدف تنويم المستضعفين وصرف ذوي الحقوق عن حقوقهم، فنظرية المعرفة في هذا السياق جاءت كاشفة عن وظيفية الفعل السلبي للعقل المستقيل في صلته بالاستبداد، وهذا مجهود تأسيسي من وجه، حيث يمكن قراءة المنهاج النبوي، باعتباره الذي قدمناه سلفا، نظرية في المعرفة الكاشفة الحقة لا المزورة، واستئنافي، من وجه آخر، لما قام به كثيرون على رأسهم الكواكبي في طبائع الاستبداد، خصوصا في فصل الاستبداد والعلم حين قرر أن "الاستبداد والعلم ضدان متغالبان، فكل إدارة مستبدة تسعى جهدها في إطفاء نور العلم وحصر الرعية في حالك الجهل"[3]. ولهذا يجد القارئ أن الأستاذ ياسين دائم الربط في نظرية المنهاج بين مؤسسات إنتاج المعرفة السلبية؛ أو ما يسميه بمدارس التجهيل ومنظومة الاستبداد، يقول واصفا منتوج هذه المؤسسات المفتقر في النهاية إلى معاني التخطيط والتربية والتنظيم فيما يشبه التصوير المدهش والمثير الذي نجده في "الطريق" The Road لكورماك ماكارثي Cormac McCarthy أو واحدة من أعمال فرانز كافكا Franz Kafka حيث الشخصيات لا تعدو أن تكون أرقاما، يقول الأستاذ ياسين: " **أجيال تولد كالأرانب في حظائر البؤس الاجتماعي، وتعطى أسماء وأرقاما في مدارس التجهيل وشوارع الفتنة، وتُعَرَّضُ للقنبلة الإعلامية، والإغراء الانحلالي، ثم تُدْفع إلى الشارع. لا**

تخطيط يهيئ الإنسان لمهمات الخبرة، ولا تربية تنشئه على معاني الإيمان، ولا تنظيما اقتصاديا يضعه على عتبة المسؤولية الإنتاجية والكرامة الاجتماعية"[4].

بـ فصل ما بين المعرفة والإلحاد؛

ذلك أن الأستاذ ياسين، باعتباره مربيا ومعلما، اهتم بنقد التوجه الإلحادي في ميدان التعليم والفلسفة خاصة وميادين الحياة عامة، ولهذا وجد نفسه معنيا بما خلفته تيارات الإلحاد العقلاني من مواقف متطرفة وحَدِّية من الأديان والمعتقدات، صورت لدى نفر منهم أن الدين نقيض للعلم والعقل[5]، وصرفت الكثيرين عن الحقيقة الدينية، وأغرقتهم في أتون الإنكار لما يتجاوز من المعارف حدودهم وأقيستهم ومنطقهم، وقد شن الأستاذ ياسين حربا لا هوادة فيها على التيارات الإلحادية وعلى رأسها الماركسية والوجودية والتطورية، يوم كانت سوقها رائجة ومتمكنة من العقول في المنتديات والمدارس، يقول الأستاذ ياسين: " العقلانية التطوُّرِية تُفَلْسِفُ الإلحاد، وتعلمه، وتبني بيداغوجيتها عقول الناشئة. ولئن كان الملحدون المرتدون في ديارنا قلةً وذلة، فإن مراكزهم في الجهاز التربوي التعليمي يُكسب نضالهم شِرَّةً منافقة مستخفية تارة جريئة تارة.

ولعل مساهمتَنا في كشف القناع عن وجه العقلانية الملْحِدة الملَحّدَة وعن بيداغوجيتها المناضلة يلقي الضوء على مسار تاريخي نحن في سياق مساءلته.

لا نتصنع الأسلوب الأكاديمي المحايد "العلمي" المرتاح، المتدثر في أحضان العافية "الموضوعية". بل نعلن أن الإلحاد سخافة عقلية، وأن الردة عن الدين كارثة في الدنيا على الأمة، خزيٌ أبدي في الجحيم لمن اغتر بسخافاتٍ أفرزتها العقول الكافرة المريضة المطبوع عليها"[6].

تأَمُّلُ هذا الإعلانِ الفلسفي العميق للأستاذ ياسين–وهو أشبه ما يكون بمطرقة فلسفية– الذي واجه به فلسفة الإلحاد؛ ومنها الداروينية والكانطية بأنه"سخافة عقلية" لا يدعو المشتغل بالفلسفة للاستغراب، فله نظائر إذ يُذَكِّرنا بموقف نيتشه الفلسفي على سبيل المثال من فلسفة كانط واعتبارها بلاهة وانحطاطا، إن موقف الأستاذ ياسين يمكننا– باعتبارنا قراء– من

الاطمئنان إلى اعتباره تعريفا لـ"الإلحاد" غاية في المطابقة، وهو قريب من رأي ابن تيمية والغزالي في القديم ورأي باسكال حين ربطه بالشهوة التي لا تتجاوز عيونها حدود المظاهر، ذلك أن الأستاذ عبد السلام ياسين بنى هذه الخلاصة على قراءات موسعة ونقاشات مستفيضة لأساطين هذا الفكر وفلاسفته وأدبائه، واتخذ موقف التحذير المستمر لما يلازم حزمة الأفكار هذه من الخطورة على الوجود والثبات الإنساني، من خلال تسللها لمجال التربية(قيم السلوك)، والتعليم(قيم المعرفة)، باعتبارها دينا جديدا كما يقول الأديب الفرنسي أونوري دو بالزاك. **فالإلحاد بما هو "سخافة" لم ولن يكون موقفا عاليا ومشرفا للإنسان من الوجود، بل هو الضعف والعجز الذي يخفي نفسه ليعلن عن ذاته قوة زائفة، ولهذا كانت السخافة في لسان العرب بالفعل هي حالة معرفية تعكس رقة العقل(وصف كيفي)، وضعفه (وصف كمي)، وعلامة على خفة الإنسان وطيشه(النتيجة السلوكية القيمية)، والسخيف لا يكون مسئولا أبدا لأنه لا يتحمل ثقل المسئولية.**

داعيان وصليان:

أـ الوصل بين الفطرة أو العقل الفطري والوحي:

وقد كانت الغاية منه استنباط نظرية معرفية من القرآن الكريم، ذلك أن منزلة القرآن في التصور المعرفي للأستاذ عبد السلام ياسين لا تعدلها منزلة، وهي عنده في أعلى الهرم، والأستاذ ياسين يراهن على أن تجديد الفهم لما يجري حولنا في العالم لا يكون إلا باستنباط نظرياتنا جميعها عن المعرفة والوجود والتغيير من إدماننا على القرآن الكريم، ثقافة ومعرفة وأفقا إدراكيا، وجعله النظارات التي نبصر بها العوالم من حولنا، والإطار المرجعي لقيمنا، يقول عن القرآن وعلومه: " **منه ننطلق، وإليه ننتهي. به تُطَبُّ القلوبُ، وبه تهذَّبُ الأخلاقُ، وفي مدرستِه تُطْبَعُ كلُّ العلوم لتأخُذَ صبغةَ الله، وتجَنَّدَ لخدمة دين الله. الحق الذي جاء به القرآن هو معيارُ كل القيم، به نعرفُ نسبة الإنسان للإنسان، ونسبةَ الإنسان للكون، ونسبة الدنيا للآخرة، ونسبة الحق للباطل، في إطار نسبة العبد لربه. وأنصعُ ما تكون النسبة بين العبيد ومولاهم الحقِّ حين يتلون كتابَه المنزَّل عليهم رحمةً وحكمة، وحين يشمرون لتنفيذ**

الأوامر واجتناب النواهي. فإذا صحت هذه النسبةُ بين العبد ومولاه، بين الأمة وربِّها وسيدها، اتخذَتْ كلُّ مَلَكات الإنسانِ وطاقاته الظاهرة والباطنة من قلب، وعقل، وجسم، وأشياءَ صنعتها المهارة، وعلاقاتٍ نسجتها الأعراف، وتاريخٍ ألَّفتْهُ الأقدارُ، مكانَها الحقيقيَّ بالنسبة للغاية التي كشف عنها الرب جل وعلا لعباده"[7].

ونجاح المسلمين اليوم في استنباط نظرية معرفية يكون مزاجها حركة العقل المسلم ونصوص الوحي رهين باتصالهم المباشر بالقرآن الكريم، وإنما ينجح المسلمون في نظر الأستاذ ياسين "بمقدار ما معهم من خُلُق القرآن وفرقانه وبرهانه وإحسانه"[8]، وهي كلها قيم راجعة لآثاره على النفس المنفعلة والمنتفعة به في أقصى درجات الانفعال والانتفاع.

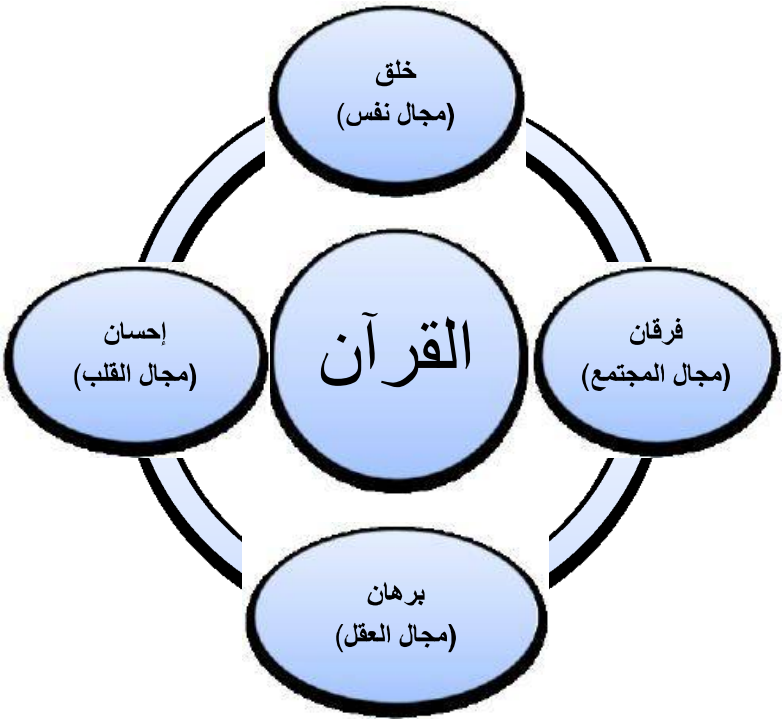

ب- الوصل بين العقل والعمران:

إذ ليس من متطلبات النظر المنهاجي الغرق في التجريد المنقطع عن الشعور بالمسؤولية تجاه الواقع وتجاه مأمورية التدبير العمراني، فالعقل الذي يخاطبه الوحي بالتفكر في مجال السلوك هو نفسه العقل الذي يخاطبه بالفكر في مجال تدبير المدنية بإقامة مجتمع العمران الأخوي الذي لا

يستقيم من غير قيمتي الرحمة والعدل، "**لأن العدل هو عماد العمران، أخويا كان أو مدنيا قانونيا**"[9].

والعقل في هذا السياق مطالب بالقيام بواجبه في التفكير في تطوير العيش الإنساني من منطلق مسؤوليته العظمى عن التوازن أو الاختلال الذي قد يلحق الحياة الإنسانية، فيفرغها من المعنى.

إن العمران هو نقيض الحضارة الغابوية، وهو في المنهاج النبوي تنمية عقلانية تتوجه للإنسان قبل البنيان تملي على العقل المسلم أن يختار النموذج التنموي الذي يخدم قيمه ومبادئه ولا ينقطع عنها، أو بالأحرى لا يقطع الإنسان وهو يكد ويسعى في الحياة عن التفكير في مصيره الأخروي، إنه نموذج تنموي عقلاني يركز على التربية كمدخل للمعالجة، ذلك أنه" في المجتمع المسلم البارئ من أمراض الغثائية تُجعل ضرورةَ الضرورات تربيةَ الأجيال على الإيمان، لا تزاحم البرامجُ التقنيَّةُ البرامج التربوية. ويحملُ العمل والكسب والمساهمة في النشاط الاقتصاديِّ معنَىَ التعبئة الجهادية. وتُحدَّدُ لهذا النشاط التنموي أهدافٌ تلائم "العمران الأخوي" المرغوب فيه لا أهواءَ التملك الأناني والأَثَرة والتكاثر والترف.

ليست الهيكلة التنموية الاقتصادية التصنيعية مُعطىً واقعيا محايدا، لكنها نتيجة لاختيار قِيَميٍّ. ففي أساس إقامتها اختيار لسلوك معين وعلاقات اجتماعية معينة ونمط حياة معين. وعلى الإسلاميين أن يختاروا النمط الملائم لأهدافهم"[10].

والوصل بين العقل والعمران هو في جوهره وصل بين الواجب والحق، ذلك أن عملية النهوض كما يراها الأستاذ ياسين لا يستقيم فيها غلبة ذهنية المطالبة على ذهنية الواجب[11]، استشعار الواجب تجاه الواقع هو أرقى ما يعبر به العقل والإرادة عن سموهما الأخلاقي، وإلا فإن الانكفاء على المطالب الذاتية والتمركز على "الذات" و"الحق" بمعزل عن "الآخر" و"الواجب" من شأنه أن يحبط كل محاولة للإقلاع الحقيقي، والتيار الذي ينادي بالحقوق فقط ويتغافل عن الواجبات هو تيار كما يقول مالك بن نبي ضار، ما في ذلك شك، لأنه ينسى التشابك

والارتباط المتبادل الموجود بين هذين المفهومين الأخلاقيين، فالحق ملازم للواجب، والشعب هو الذي يخلق ميثاقه ونظامه الاجتماعي والسياسي الجديد عندما يغير ما بنفسه، إنه لقانون سام..غير نفسك تغير التاريخ[12].

العقل المسلم والحاجة لإعادة التركيب:

حين يعالج الأستاذ ياسين حيثية العقل المسلم بمعناه الثقافي في سياق تجديد الدين، فإنه يُرجع ما آل إليه من ضمور وتخلف إلى عدة أسباب: منها الغزو الفكري الذي" فكك العقل المسلم تفكيكا، وركبه تركيبة وثنية، وفصله عن الوحي. وإن إعادة تركيبه في أحضان الوحي والنبوة والربانية شرط أساسي في قدرة الأمة على الجهاد. وحدات العلوم الكونية التي يتفوق علينا فيها الجاهليون وحدات مبعثرة، مجردة عن المعنى، متناقضة أحيانا، إلحادية، منكرة للنبوة، تفسر الحياة والتاريخ والنظام الكوني تفسيرا عبثيا، لا خَبَرَ عندها بسنة الله في الإنسان والتاريخ.

بداية التركيب العقلي للمسلمين البداية الصحيحة تنطلق من صلة العقل بالقلب لنكون من أولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا، ويتفكرون تفكُّر الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره. هذا الذكر وهذا الإيمان مركز ومحور لكل أنشطة العقل وجزئيات العلوم، يلتزم العقل توجيه الوحي، ويبقى العقل خادما لأوامر القلب المفعم بحب الله، القائم بحق الله، الفاعل بإرادة قوية لا تتنكر لقدر الله، ولا تحيد عن مقتضى سنة الله"[13].

إعادة التركيب تحتاج عند الأستاذ ياسين أن نقف عند الحدود، وندرك مدى القدرة والعجز في نفس الآن، ونعي المحدودية، فالعقلانية ليست، هي إذن، الموقف الذي يقول بالعقل دون تحديد، بل هي بالذات الموقف الذي يقول بالعلم الاجتهادي؛ كما يقرر أبو يعرب المرزوقي: يعني العقل الذي يعرف حدوده: إنه المعرفة التي تعلم حدودها فلا تؤله الإنسان بإطلاق عقله، ومن ثم فهي تؤمن بأن وراء الشاهد غيبا مجهولا لا يدركه الإنسان بعلمه وعمله فيسلم وجهه لرب الغيب والشهادة.

لا شك أن العقل لدرجة افتتانه بذاته، تأله حتى صار مع الوقت إلها يتصور أن بإمكانه أن يقدم تفسيرا لكل ما يحيط به، لأنه هو الذي أوجده على نحو من الأنحاء، وهو يعتقد أن كل شيء وكل موضوع لا يخرج عن دائرة الفهم، وهي مسلمة تعكس غروره وضعفه في نفس الآن، يقول مانويل دودكيز: "إن مسلمة قابلية كل شيء للفهم، وبالأدوات التي يوفرها العلم المزهو المنتصر على وجه التحديد والحصر، معناه الانزلاق إلى ما هو أشد ادعائية ألا وهو قابلية كل شيء للتفسير الذي لن يقبل إلا بالوجهة الواحدة وبالأحادية المركزية"[14].

هو وجه آخر من العلمانية في فهم الوجود، فهم يقتضي إقامة التعارض بين العلم والإيمان، يقول الأستاذ ياسين عن إشكالية هذا التعارض: " **لا تضارُبَ بين العلم والإيمان. إنما يتضارب مع العلم استعمالُ العقل في غير ما خُلق له. فإن صرفتَ العقل إلى ما تقع عليه حواسُّه ووسائله، ورتبتَ له مهماته التجريبية الاختراعية، وسددته بالمنهاج الصالح، جاء بالنتائج الباهرة. وإن أنت تركته يتخطى عتبة اختصاصه، دخل في حُمَّى الهَذَيان، وأخذ يهرف بما لا يعرف، وجاءك بالطوامِّ**"[15].

ابتداء لابد من التمييز بين العلم وأشباه العلم Pseudo science، إذ توجد مجالات معينة للنشاط العقلي، يزعم أنصارها أنه وفقا لمعايير العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء وغيرهما، تعد هذه النشاطات العقلية علوما sciences غير أنها في نظر معارضيها ليست سوى أشباه علوم[16].

ولعل أحد أسباب نشوء الرؤية العلمانية[17] في الحياة العملية والفلسفية، كما يراها الأستاذ عبد السلام ياسين ترجع إلى فساد الفطرة الذي أدى إلى انشطار العلم وتزايد النزوع إلى عزل المعرفة عن القيمة، بحيث صارت العلوم ثم تطبيقاتها غاية بحد ذاتها، بغض النظر عن أي ضابط عقلاني أو غاية أخلاقية أو إنسانية، **وترتب على ذلك أن صارت تطبيقات هذه المعرفة نفسها مجرد مشروعات اقتصادية ذات هدف استهلاكي، غايته الوحيدة الربح، والنتيجة الحتمية لذلك صيرورة الاستهلاك غاية الغايات،** فانفصلت مع هذه الرؤية "الدنيا عن الآخرة في معرفة الإنسان المفتونِ، والعلومُ النقليةُ عن العقلية، والدولةُ عن الدين. انبسط الناسُ في هذه النظرة، وفي واقع حياتهم، سطحاً بلا عمق، حرفا بلا معنى، قفصا بلا طائر"[18].

ولأجل ذلك كان من مهام إعادة التركيب الوصلُ من جديد بين المعرفة التي انزلقت بعيدا عن التوحيد وتحقيق المصلحة بمعناها الشرعي، من حيث يجعل الدين الحق خلفية لها ولكل معرفة، ومعلوم أنه لا تخلو نظرية في المعرفة من ميتافيزيقا تسبقها وتشكل فلسفتها الخلفية وعمودها الفقري الذي يضمن ارتكازها إلى طبيعة الحقيقة كما تتصورها وتسعى لطلبها، وهي مسألة من بديهيات درس الأبستمولوجيا التي تتطلب وعيا بها قبل الخوض في المعمار النسقي لكل نظرية في المعرفة لأنها في الوقت ذاته نظرية في الوجود ومنزلة الموجود من جهة تصوره وطرق معرفته. وأهمية هذا التقديم تكمن بالأساس في عمليات الاقتراض وما يستتبعها من توابع قد تكون حاصلة تحت قوة الوعي أو خارجه، ولهذا الاعتبار السابق فقد كان من جملة المجالات التي تكلم فيها الأستاذ ياسين هو منهج المتقدمين في معالجة نظرية المعرفة كما وردت إليهم عن حضارة اليونان، فقد "رفض العلماء المسلمون عامة، ما خلا الغزالي في مراحل بحثه الأولى وبعض من تبعوه، منطق اليونان. وحاربوا المذاهب المارقة والفلسفات الطارقة بسلاح علم القياس وأدواته. **كان أول من رفض الآلة المنطقية اليونانية الأرسطية عبقري العلماء؛ الإمام الشافعي رضي الله عنه مؤسس علم الأصول. ورفضه العلماء من بعده لأن منطق اليونان يتكئ على ميتافزيقا وعلى فيزيقا ماديتين مخالفتين لعقيدة المسلمين مخالفة لغة اليونان للغة القرآن.** رفضوا الآلة لرفض المضمون. **وهل تسلم آلة مستوردة من جراثيم تحملها في طياتها ؟** وطوروا منطقا استفاد مما "يشترك فيه النظار"، ودرسوه في المسجد بعد أن لقنوه شهادة التوحيد. درسوه في المسجد جنبا إلى جنب مع دروس النحو والفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم"[19].

وإذا كان هذا حال العلوم الإنسانية فإن حال العلوم الكونية مختلف من حيث الإجراء، إذ يعتبر الأستاذ ياسين أنها مُسْلِمة" لولا أن العقل الذي سطا عليها ونسبها إلى نفسه صاغها صياغة انقطاع عن مغزاها ومولدها، وما تعنيه من نظام الكون، ووجود الإنسان، وقابلية عقله لتلقيها.

هي مسلمة لولا أن نتائجها وقوتها وإمكانيتها يسخرها البشر المستكبرون في الأرض بغير الحق لأهداف العلو في الأرض لا لتزويد التكافل البشري والتراحم الإنساني بما يلزم من وسائل.

العلوم التجريبية المحضة، وما يؤسسها من رياضيات، وما ينتج عنها من تطبيقات عملية، كلها مُسلمة لولا القصد الكافر، والاستعمال الفاجر"[20]. هما معضلتان إذن واحدة تقبع في ما قبل العلم(القصد والنية) والثانية تربض فيما بعد العلم(الاستعمال والتوظيف):

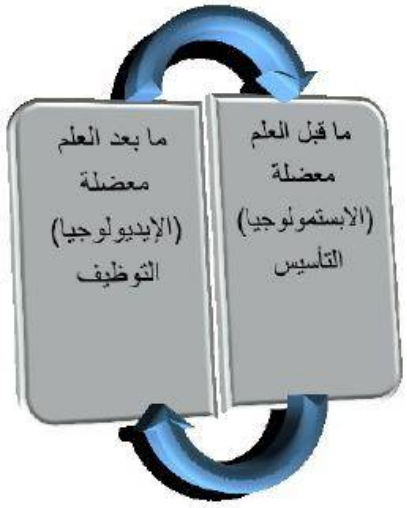

معضلتان تبدأ آثارهما التدميرية حين يفقد رجل العلم حريته واستقلاليته وكرامته الآدمية، ليقع فيما يسميه آينشتاين بـ"عبودية رجل العلم"لرجل السياسة ورجل الاقتصاد[21]، وذلك حين تكلم عن المصير التراجيدي لرجل العلم[22]، بعبارة مختصرة حين يقوم العلم في خدمة الشر؛ تذكرنا بما كتبه الألماني إيريش كيستنر في الفصل الرابع من عمله مدرسة الدكتاتور[23].

العلم مفردا وجمعا:

يقيم الأستاذ ياسين ما يشبه ترتيبا خاصا به للمعارف والعلوم، فيعتبر أن العلم بالمفرد هو العلم بالله وحده وما يتعلق به مما ينفع في تقريب العبد من مولاه وتعريفه بخالقه، "فاعلم أنه لا إله إلا الله"(محمد: 19)، وهو العلم الذي يتولى الإجابة عن الأسئلة الكبرى في حياة الإنسان،

وهذا وحده الذي يصح فيه الإطلاق بالمفرد، أما باقي المعارف والعلوم فيجوز عنده إطلاقها بالجمع لأنها متوالدة ومتطورة وغير ثابتة[24].

يقول الأستاذ ياسين وهو ينسب إلى "الجمع" في أحد فصول التنوير: "**أكتب "علومي" نسبة إلى الجمع وإن كان النحاة لا يجيزون ذلك. قصدي أن تدل صيغة الجمع على العلوم الكونية التجريبية لتبقى كلمة "علم" بالإفراد دالة على العلم الكامل الشامل: العلم بالله وبخلقه وبدنياه وآخرته، وبحكمته ورحمته، وبمعنى وجود الإنسان وسعادته في الآخرة أو شقاوته. العلوم الكونية وما تلد من صناعات إما تكون في خدمة مشروع الإنسان لتوفير الأمن والرخاء والخير للإنسان، وإما تكون من أسباب ارتباكه في المادة وانغماسه في هموم الدنيا غافلا عن ربه وعن مصيره بعد الموت**"[25].

العلم بالمفرد علم ترتبط به سعادة الإنسان وشقاوته، يعني علم المصير المحتوم الذي ينتظر كل إنسان، فغايته أن يعرفك بأسباب النجاة والفوز، وهو أمر ضروري في جوهر هذا العلم، أما العلوم بالجمع، فلا تتوقف سعادة الإنسان عليها بالمعنى الفلسفي، وإن كانت قد تجلب له بعض أسباب الراحة المؤقتة وتحل بعض مشكلاته من غير أن نتجاهل مئات المشاكل التي تولدها والتي تحتاج هي نفسها إلى حلول، ولا أدل على ذلك مما يسميه جاك إلول بعتبات الارتكاس Thersholds of Reversal، وهو مفهوم يعني أن منطق التطور العلمي وزيادة المنتجات من أي شيء يكون بدافع تحصيل نتائج أفضل، لكنه على العكس من ذلك قد ينعكس ونحصل على نتائج غاية في السوء، و"لنا أن نلاحظ هذا في آثار انتشار الحاسبات، فرغم أن إدخال الحاسبات إلى المنازل والمدارس يؤدي إلى المزيد من الكفاءة، إلا أن هذا يتحول حتما إلى نوع من اللاعقلانية، وأيضا، لماذا على سبيل المثال، نوفر الوقت إذا كان الوقت المتوفر خاويا وغير ذي معنى؟ فكلما زادت دقة ساعاتنا قلت معرفتنا بقيمة الوقت"[26].

والحق أن القول بالعلم بالإفراد والتعريف؛ تقليد يجد أصوله الفلسفية عند الغزالي وعليه سار كثير من القوم، من غير أن يباشروا المقابلة بينه وبين العلوم بالجمع على النحو الذي ذهب إليه الأستاذ عبد السلام ياسين وزاد في تقوية هذا الاختيار وتمتينه انطلاقا من عدد من النصوص

التأسيسية، وقد جعل أبو حامد يتحدث في الإحياء عما لحق بعض المفاهيم من التحوير والتغيير من ذلك مفهوم "العلم"، يقول الغزالي: " اللفظ الثاني: العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه، حتى أنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله: لقد مات تسعة أعشار العلم، فعرفه بالألف واللام، ثم فسره العلم بالله سبحانه وتعالى، وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها، فيقال: هو العالم على الحقيقة، وهو الفحل في العلم، ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء، ولا يعدونه في زمرة أهل العلم.

وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته."[27]

وإذا كان العلمُ في فلسفة الأستاذ ياسين هو العلم بالله، وبكتاب الله، وبرسل الله، وبقدر الله، وبملائكة الله، وبلقاء الله، وهو عنده علم الإخلاص والخلاص والمعاملة مع الله، والعلم الذي عنه تنشأ المعارف القلبية التي لا نهاية لها، فإن مصدر هذا العلم هو الوَحي مع ما يقتضيه من التصديق، ووِعاء نوره القلب، ويضطلع العقل الإيماني المنفتح المنافذ على القلب بتلقي الأمر والنهي، وبمعرفة الحق.

وفي المقابل تنشأ العلوم الكونية من اطلاع العقل المعاشي المشترك بين البشر على القوانين والنواميس المغروسة في الطبيعة، عقل معاشي يتفاوت في ذكائه الناس "أفرادا، متقدمين أو متخلفين في مضمار فروسيته أمما وعصورا"[28].

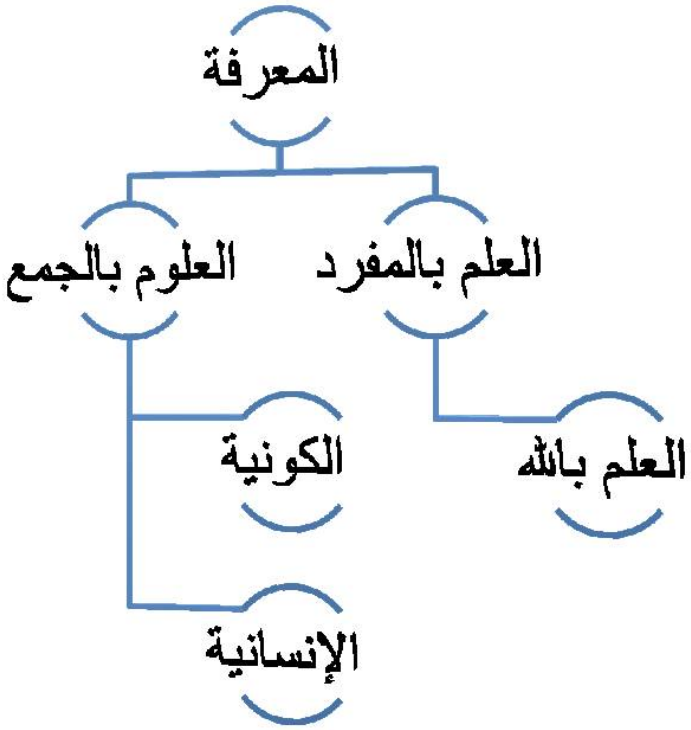

ينظر الأستاذ ياسين للعلوم الكونية على أنها بحث في"أسرار أودعها الخالق البارئ سبحانه في خبايا المادة وتلاحمها الفيزيائي، وتفاعلها الكيماوي، وقوانينها الرياضية في الذرة والأجرام السماوية، وفي الماء والهواء، وفي المعدن والأحياء، وفي النبات والحيوان"[29].

وأن هذا البحث مرتبط بعمليات علمية وعقلية لا تعلق لها بجنس ولا بعقيدة، فقد "خلق سبحانه وقدر الأدمغة البشرية. فرقد بعضها فلم يطور آلات علمية لينبش ويبحث ويستخرج، وبحث بعضها فوجد.

الناس سواسية في العقل، كافرهم ومومنهم"[30].

وعليه فالعلوم الكونية بالجمع هي علوم نافعة تتوقف فائدتها على ما يوظفه الإنسان من نتائجها ومنتجاتها، فهناك الإرادة الإنسانية خلف نتائجها توجه في اتجاه صالح البشرية أو خرابها، وليس أدل على ذلك مما تسخره إرادة الشر والبغي والسيطرة وشراهة الربح من نتائج البحث العلمي من أجل قهر الإنسان وإضعاف مقاومته، وتجريب الأمراض فيه وزيادة جوعه واستهلاكه للأشياء التي توفرها الصناعات اللاإنسانية الحديثة، التي تفتك بصحة الإنسان وبعقله

وصحته النفسية حين تجعله أسيرا مدمنا لمنتوج أو خدمة أو سلعة، وتحول انتباهنا كله في عالم التقنية المتوسع نحو الوسائل بدل التفكير في الغايات كما هي عبارة هايدغر.

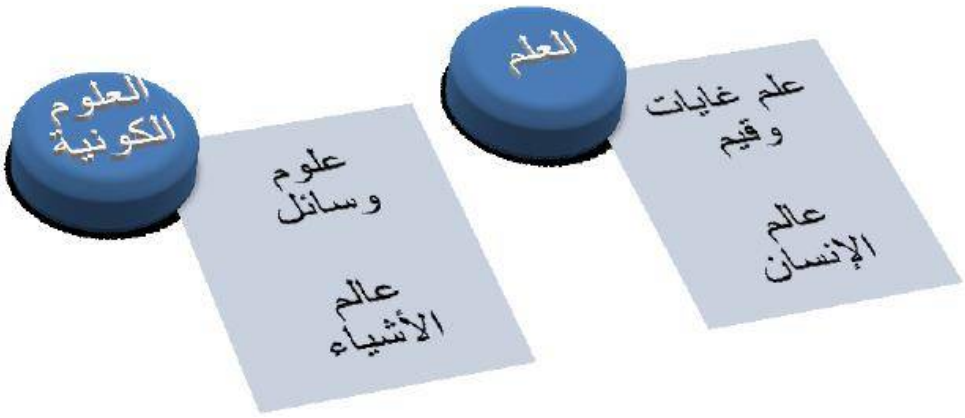

والأصل أن كل هذه العلوم بالجمع تبقى نافعة محققة لنفع البشرية من ورائها، و" إنما تنفع إن استعملت لإبطال الباطل وإحقاق الحق. كما أن علم الحق يبقى في عين غيرنا نظريات وأساطير إن لم نتسلح بالعلوم الأرضية وحكمة الأمم كي نجسد ما نؤمن به من الحق على أرض الواقع"[31].

من هنا يبدو أن نهضة الأمة في نظرية المنهاج النبوي عند الأستاذ ياسين لا تكون فقط بقيام نهضة في "العلم" بالمفرد، فهذا بمنزلة البوصلة في الحياة(وهو الذي يحدد الغاية)، وإلا فإن باقي العلوم(الأرضية الوسلية) بالجمع كما هي الحكمة البشرية، لا تقل الحاجة إليها عن الحاجة إلى الأول، وإلا سينقطع تواصلنا مع العالم ويسقط نموذجنا المعرفي لعجزه عن تحقيق الكفاية العملية والإقناع الإجرائي في الواقع.

ولا يعني ترتيبها على هذا النحو المبني على التعريف الإضافي(العلم بالله) والإفراد أنه يقلل من قيمة العلوم الكونية وما سواها، بل إنه لا يرى سبيلا إلى النهضة إلا بالأخذ بأسباب هذه العلوم وإتقانها، وإلا فإن التخلف سيكون قدرنا المقدور الذي نختاره بأيدينا، يكون مركز هذه المعارف ومنطلقها هو الكائن الإنساني والإرادة المتعرفة على الكون والمنفتحة على عالمي الملك

والملكوت، وتتوسط العلوم الكونية بينه وبين أسرار عالم الملك، ويهيمن العلم بالله وبالمصير(علم الغاية) على كل التفاصيل، يفتح للعالم أفق الملكوت، ويوجه طاقة البحث ويملي قيمه العليا عليها تسديدا وترشيدا.

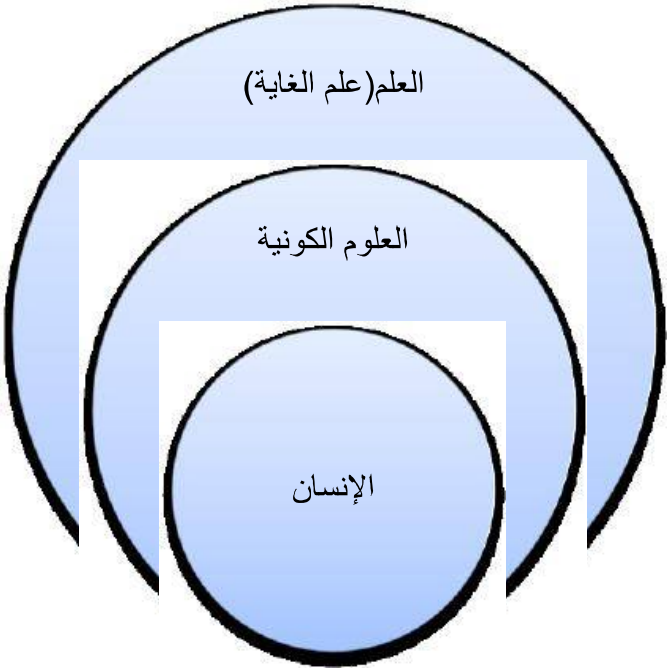

الآيات والقيم:

يؤكد الأستاذ ياسين أن العقل الموفق المؤيد بالوحي والإيمان؛ هو عقل يصل بين الآيات والقيم، ومعلوم أن أحد أسباب التردي والانهيار في الواقع الكوني اليوم هو سيطرة فلسفات ومناهج معرفية تفصل بين الآيات والقيم، والحقيقة أنه لا نزاع في أن الكائن الإنساني يميل بفطرته التي خلقه الله تعالى عليها إلى أن يجد في الأحداث التي تجري من حوله دلالات تجاوز واقعها، وهو يرى في حصولها إشارات تتعدى الظواهر؛ وتحمل إليه هذه الدلالات الدقيقة والإشارات الخفية، معاني بعيدة أو قيما عليا يشعر بالحاجة إلى الاهتداء بها وإتيان أفعاله على وفقها.

والحال أنه ليس في الأطوار التي تقلبت فيها الحضارة الإنسانية كما يذهب الدكتور طه عبد الرحمن "طور خالف هذا الميل الفطري لدى الإنسان مخالفة الواقع الكوني له؛ فهو يقر بوجود

القيم، لكنه لا يقر بوجود الآيات؛ ولا يخفى أن الفصل بين الآية والقيمة إجراء تجريدي صناعي، بل تصنعي، ذلك أن الآيات لا تعدو كونها الظواهر عينها وقد تلبست بها القيم، والظواهر إنما هي الآيات وقد انتزعت منها هذه القيم، فهذا الانتزاع يؤدي إلى تجريد القيم من المواد التي تتجسد فيها، أو من الموضوعات التي تحملها، ثم وضعها في عالم لا وجود له إلا في الأذهان، قد يزعم بعضهم أنه عالم المثال، أي عالم لا يأوي إلا الصور المجردة"[32].

وينتهي الأستاذ ياسين إلى أنه بإعراض الإنسان عن الله عزّ وجلّ وجحوده ألوهيتَه والتهائه بالأسباب عن خالق الأسباب، يفوته الاعتبار بالآيات الإلهية، فينظر إليها على أنها ظواهر طبيعية، "ويفوته الشعورُ بعظمة محرك الكون سبحانه، ذلك الشعورُ الذي يرده لعبوديته ويهيئه للإيمان. فهو مَغْموطٌ من هذا الحق، حقِّ الاعتبار والخوفِ من الخالق الجبار. قلبُه الذي هو مقر الفهم عن الله مطَوقٌ بإفرازات عقله الذي هو آلة لتعامل الإنسان مع الآيات. **طغيان العقلانية الملحدة على روحانية الإنسان وقلبه يَحْرِمه من حقه الأسمى، من آدميته التي لا تتحقق إلا بمعرفة الله عزّ وجلّ. وتعطيلُ العقل عن وظيفته في تلقي الشريعة وتلقي آيات الله في النفس البشرية، وفي الجسم البشري، وفي الآفاق، يؤدِّي إلى ضُمور القلب، وتطرُّفِ الروحانية، وخُرافية التفكير، ومن ثم إلى الجهل والجاهلية. فمن حق المسلم أن لا يَنْطَمِس نُورُ قلبه بتألق عقله، وأنْ لا يُطفأ مصباحُ عقله بأوهامه النفسية**"[33].

- **المعادلة الأولى:** (العقل الملحد)< (روحانية الإنسان) = الحرمان من الآدمية = الحرمان من العبودية لله = الحرمان من معرفة الله
- **المعادلة الثانية:** (–العقل الشرعي) + (–العقل الكوني) = ضمور القلب = تطرف الروحانية = خرافية التفكير = الجاهلية
- **المعادلة الثالثة:** (– العقل) + (+القلب) = (+ العقل) + (–القلب) =$\underline{\varnothing}$
- **المعادلة الرابعة:** {العقل} ∩ {القلب} = المعرفة.

إن الغاية من إعمال العقل عند الأستاذ ياسين هي تحقيق التفكر والاعتبار، ومقتضى الاعتبار– كما يقول طه عبد الرحمن– هو العبور من أحكام النظر إلى أسرار العبر[34]، فيكون

الإنسان المعتبِر حقيقة هو من يرى الظواهر على أنها آيات، وينسب السيادة على الكون والوجود إلى صاحب هذه الآيات، ويعد الأستاذ ياسين أن "كل حديث إسلامي عن الظواهر الخلقية والأسباب الكونية إنما يكون مبتدأ بلا خبر، وجسما بلا معنى، إن لم يبن على نبإ الأسباب والظواهر خبرُ الفاعل القادر وهو الله تبارك وتعالى"[35].

وعلى قدر ما يكون الاعتبار في النظر للظواهر، يقترب العقل من مجال الإنسانية الأخلاقية، ذلك أن المرادَ من هذا النفاذ المعرفي لدائرة العبر حصول حالة من التهيؤ لمساعدة الآخرين ونجدتهم ومد يد العون لمن هم في حاجة إلى ذلك، ولهذا يرى الأستاذ ياسين أن ذكر فتن الزلازل والصواعق يستدعي في ذهن المومن أوَّلَ ما يستدعي أن "هذه الظواهر آياتٌ إلهيةٌ يُنبه الله عزّ وجلّ بها عباده إلى أن هذه الأرض ليست دَار قرار. ثم بعد ذلك يستدعي ذكرُها ضرورَة التضامُن بين البشر، ووجوبَ المسارعة إلى إغاثة الملهوف والمنكوب، والمصاب من أيِّ ملة كان. فمن حق الآدمي، كرامةً لآدميته، أن يتمتع بمواساة إخوانه الآدميين طِبْقا لمقتضيات الرحِم الإنسانية التي يوصي بها الشرع"[36].

فكرة الاعتبار هذه أو العبور من النظر إلى العبر؛ هي حركة العقل في اتجاه آخر أعمق، هي التجاوز العملي والمعرفي لحدود الظاهر، وكشف مستمر لطبقات الحقيقة في سموها وتعاليها واتصالها بالمطلق، كشف يستدعي حصول الرحمة القلبية، وتمتين النفس في أرض"التأنسن الحقيقي"، فهي في جوهرها عملية "لا تقتصر على رصد تفاعلات القُوى صانعة التاريخ، وديناميكية الصراع بين أبناء آدم. ذلك الرصْدُ وما يُلازمه من ذكاء وفطنة ومعرفة بالمعطياتِ الحاليّةِ وتسلسلِ النتائج عن الأسباب عَمَلُ أُذْنٍ حسَّاسَةٍ بما يحدث وما يتقلب في الليل والنهار، وعمل عقل يحلل ويرَكّب ويتوقع ويستبق ويخطط، وعمل باصرة تستشرف الآفاق لتبْصر الظواهر"[37].

كان الدكتور عبد الوهاب المسيري في أعماله الفكرية يعتبر العقل المادي المشتغل الغارق في الرصد عقلا تافها وسطحيا، وهي النتيجة نفسها التي أكدها الأستاذ ياسين لأن هذا العقل لا يمكنه أن يسأل أيا من الأسئلة الكلية والنهائية الكبرى(ما هو الإنسان؟ وما هو مصيره في

الكون؟ كيف يواجه الموت؟ ما هو نطاق حدوده وشموليته؟) فهي أسئلة لا معنى لها من منظوره، وقضايا زائفة على حد قول الوضعيين لا يمكن البرهنة على صدقها أو كذبها"[38].

إن العقل الإيماني المؤيد عند الأستاذ ياسين ينطلق من الأسئلة الكلية، ويرتبط بها في اشتغاله وإبداعه، فتكون بمنزلة البوصلة التي تحفظه من التيه والانزلاق والشرود المعرفي.

فمما غيم على العقل الغافل عن الله في عصر مكتظ بالكيف الوصفي مثل عصرنا نسيان الكيف التدبري من جراء الركام، ومن جراء رثاثة الإيمان وعمى القلوب التي في الصدور، فتجد عقولا ماهرة بارعة في وضع أسئلة الكيف الوصفي الوظيفي، زاهدة يائسة من وضع سؤال لماذا. عقول بارعة ماهرة في الجواب المفصل المدقق المعزز بآلات الفيزياء وتفاعلات الكيمياء وأشعة الفحص وتاريخ الحقب وتجريب الوظائف، وهم عن الآخرة هم غافلون، وعن ربهم وخالقهم لا يسألون[39].

الآخرة والخالق والغيب.. هي من جملة"المعنى" الذي تغافلت عنه الحداثة وصدت عنه، فجعلت الإنسان المعاصر يعيش حالة من التيه والضياع، ولقد اهتم الأستاذ ياسين بقراءة هذه الحالة ونقدها، فوجدناه يقرأ لعدد من المفكرين الكبار أمثال بوبر في نقده لبؤس الإيديولوجيا وبريغوجين في الإنسان أمام غياب اليقين وقوانين الفوضى وأندري سبونفيل في نقده للرأسمالية وإدغار موران وغيرهم من الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن أجزاء من "المعنى" في عالم بات يشكو التفكك والتلاشي، ولم يكن الاختلاف الفكراني ليمنعه من الاطلاع على كتبهم ومؤلفاتهم والإشادة ببعض تصوراتهم خصوصا تلك التي تجمعه بهم من قبيل "عودة الأخلاقي" وعودة الروحي" و"الدفاع عن التركيب" في مواجهة "التبسيط" و"الخطية" و"الاختزالية" و"الواحدية"و"الانغلاق" وبرودة العقل وانتهازيته"، فالعالم اليوم لا يمكن أن يعود له توازنه إلا بعودة الروحي والمطلق إلى حياة الناس. ويبدو الإنسان الحديث كما يصور الأستاذ ياسين "مستسلما لحياة تافهة فارغة من كل معنى، تعقبها نهاية مأساوية قادمة لا محالة"[40].

العقل وظيفة:

يخالف الأستاذ ياسين في نقده للعقلانية بأغلب مدارسها عبر تاريخ الفلسفة سائر ما أنيط بالعقل من تعاريف وحدود، ويعتبرها قاصرة عن أداء المعنى الحقيقي؛ بل هي اختزالية متحيزة عنصرية في بعض الأحيان، إذ تقصر العقل على شعب أو جنس أو ثقافة دون غيرها، أو تختار للعقل أحد ملامحه وتحده بمقتضاه، ويختار الأستاذ ياسين أن يعيد سؤال تعريف العقل وذلك بالرجوع إلى ما جاء به القرآن الكريم من مفهوم للعقل، لا باعتباره وجودا وجوهرا مستقلا كما قرر أرسطو على سبيل المثال، وإنما باعتباره وظيفة للقلب، فهو يعتبر أن "**القلب المومن هو الذي يعقل عن الله. العقل المُعتبر شرعا هو وظيفة قلبية تابعة للإيمان. وفي هذا يكون خلاص العقل من رِبْقة الهوى. معنى هذا بلغة العصر أن العقل بلا غاية تتجاوز الإنسان، وبالتالي تتجاوز العقل الإنساني المعاشي والمصلحة المباشرة والكون المنظور، يبقى فراشة تحترق حول ينابيع المعارف الكونية محجوبا عن مصدر الكون ومعارفه. وهو الله الخالق جل جلاله. تجد العقلانية تفرض في الفيلسوف المُخرِّص والعالم الباحث صرامة المنهجية، وحياد العقل، وتحري النتائج المنطقية حسب المنطق المختار. وتفرض خاصة عزل العقل عن العاطفة. ومن تلك الصرامة وهذا العزل تولدت الحضارة المتحجرة اللا إنسانية التي يُسيطر بأسها على العالم اليوم. العقل غاية لنفسه، يتأمل ذاته بإعجاب وغرور في استدلالات الفيلسوف ومخترعات الباحث. ولا يبقى وقت ولا مكان ليسأل العقل نفسه من أنا ومن أين جئت وفيم كل هذا؟**

ما خرج العقل العقلاني من تأمل الكون بدرس الذين يعقلون العقل المطلوب. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾**﴾ (سورة البقرة، 164). **الكون آيات وعلامات، والعقل آلة زائغة فاشلة إن اشتغلت بالأثر**"[41].

الكون = علامات = آيات

لا تحصل وظيفة العقل عند الأستاذ ياسين مع انصرافه وتعلقه بالظواهر وانشغاله عن قراءة العلامات والآيات أو ما يسميه باولو كويلو بالإشارات[42]، لأنه لا يحصل له مع تعبه وكده إلا كشف الظاهرات في أحسن الأحوال، انشغال بالأسباب القريبة عن السبب الأول، انشغال وزيغ عن معرفة حقيقة الحقائق، انغماس في الأثر ولهو عن المؤثر، سجين هذا العقل منذ مدة في مغارة الحقيقة أو كهف الغرور، مسرور مزهو إذ بات خبيرا في الظل.

فلسفة الوجود عند الأستاذ ياسين تبدأ من هنا، من اعتبار الوجود كله علامات على صاحب الوجود وآيات على الموجود واجب الوجود، علامات تحتاج لمن يقرأها ويفك شفرتها، ولا تكون العلامة ذات أهمية إلا بالنظر إلى عظيم ما تدل عليه، فقيمتها مستمدة حينئذ من قيمة ما تدل عليه.

في نظرية المنهاج النبوي يضعنا الأستاذ ياسين إزاء حقيقة قلب يعقل، أي أن فعله هو العقل، وهو ليس فعلا أحاديا، بل متعدد متنوع متراكب، يترقى هذا الفعل القلبي الذي هو العقل بترقي فعل آخر يساوقه هو الإيمان، وهو من المعاني القلبية التي يجسدها السلوك، فيكون سلوك الإنسان على الحقيقة مجسدا لمعرفته، ومعرفته مجسدة لعقله، وعقله تابع ومجسد لإيمانه، وهذا هو الأصل.

يترقى المؤمن من الإسلام فالإيمان ثم الإحسان الترقي التقربي المعروف الذي يفهمه كل الناس، ويترقى معه ذوقه وعلمه ومعرفته بالله، ومع هذا الترقي يترقى فعل القلب الذي هو العقل، حتى نكون بصدد عقول وليس عقل واحد، وكل واحد ومرتبته، فيكون العقل الكامل هو العقل الذي يجسد رتبة الإحسان(العقل الإحساني)، أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، نفهم من هذا أن العقل يكون محجوبا بكثافات بعضها فوق بعض، وتزول عنه مع الترقي، فيخرج من طور إلى طور، خلقا آخر، وهذا ما يسميه طه عبد الرحمن بأصل التكوثر العقلي[43]، ويشهد له بعض فلاسفة الغرب وعلى رأسهم الفيلسوف الرياضي بليز باسكال الذي كان يرى أن للقلب عقوله التي لا يعرفها العقل[44]، ومعلوم قسمته الشهيرة للعقل: العقل الهندسي Esprit de Géomitrie في مقابل البصيرة Esprit de Finesse[45].

بين عقلين:

يميز الأستاذ ياسين بين نمطين من العقل:

الأول: عقل اصطلاحي؛ ويسميه أيضا عقلا علوميا[46]، وعقلا رياضيا[47]، وعقلا معاشيا[48] وعقلا ماديا[49]وعقلا مشتركا[50]؛ وهو العقل "المدبر لشؤون الحياة الدنيا"[51]، "**هذا العقل المعاشي المشترك بين البشر إما يكون آلة للقلب، يخدم تطلعات القلب إلى خالقه، وإما يكون آلة للهوى المتأله، أو للنفس والشهوات، أو للفلسفة والتأملات، أو للفعل في المكونات، أو لجمع المعلومات واستنتاج حصيلة الماجريات**"[52]، وقد يتحول إلى عقل أعمى إن هو أعرض ونأى، إن هو"صم عن سماع رسالة الأنبياء عليهم السلام، وتمرد على الله، وأنكر وجود الله، وتأله وتمطى واستكبر، لكنه مثل الذبابة في القارورة، محبوس بين أرض الله وسمائه، يخيل إليه أن عقلانيته المخترعة ستسلح إرادته البروميثية يوما ليخترق طباق السماء وليستعمر بعد قرن أو قرنين المريخ والزهرة"[53]، هذا "العقل الذي لم يكتحل بنور الشرع"[54] على حد قول السهروردي، أو هذا العقل المتأله أعمى لا يسجد"أمام عظمة الخالق، لأنه جعل في أذنيه أصابع استكباره، واستغشى ثياب عتوه وإنكاره"[55].

والثاني: عقل تفكري؛ ويسميه أيضا العقل الكامل[56]، والعقل المؤمن[57]، والعقل المهدي[58] والعقل المَوَفَّق[59]؛ وهو" العقل الذي مجده الله تعالى في القرآن، وهو فعل القلب المؤمن بالله وبالآخرة وبالنبوة وبالشريعة"[60].

يتصف العقل الثاني بصفات الكمال والإيمان والهداية والتوفيق والتأييد، وهي صفات اكتسبها من جهة انتمائه المعرفي الذي يرفع الحقيقة الروحية ومجال الغيب إلى منزلة الاعتبار الأسمى فوق الحقائق المادية، كما يستمد خصوصيته من نمط الاتصال بمصدر الهداية والتسديد، ألا وهو الحق سبحانه وتعالى. والتفريق بين هذين النمطين من العقل ضروري في نظرية المنهاج النبوي من أجل فهم طريقة اشتغال كل واحد منهما ومهامه وتحديد قدراته وطاقاته، كما ينبني على هذه الثنائية العقلانية ثنائية منهجية نجد أصولها عند أكثر العرفانيين المسلمين.

بين منهجين:

العقل سابق على المنهج كما هو معروف، وينشأ عن تمايز العقلين (المعاشي والمؤمن/المعادي)[61] في نظرية المنهاج النبوي عند الأستاذ ياسين أن يتمايز نشاطهما على نوعين متباينين من حيث المسار والإجراءات والغاية:

الأول، وهو ما ينشأ عن العقل المشترك، وهو التفكير؛ وهو" نشاط العقل الاصطلاحي في تناول المعطيات الكونية في انقطاع عن كل اعتبار يُرجِعُ الأمور إلى

الله". "التفكيرُ تفتُّح هذه الملكة العقلية العجيبة على الكون، وتلمذتها له، واستقصاء شؤونه بالدراسة والتحليل والتركيب، وتأصيل العلوم الكونية. ومن هذا النشاط العقلي تنشأ العلوم الكونية، وعليه مدارُ تقدم الإنسان في مضمار الحضارة"[62].

العقل المشترك يبحث في المادة، ويبحث "في الظاهرات ويحاول تحديد القوانين، وهو يسعى إلى عرض العناصر المكونة للمادة كما تراها الحواس، ولكن هل تكفي المادة نفسها بنفسها؟ وهل هي نتيجة المصادفة كما يقول الماديون أم مجرد تصور من قبل الذهن كما يقول المثاليون، أم هي من صنع إله كما يقول الروحانيون اليقينيون؟"[63] إن هذا العقل لا يطرح هذه المسائل ولا يسعى إلى حلها.

والثاني، وهو ما ينشأ عن العقل المَعَادي أو المؤمن، وهو التفكر، جاء في لسان العرب"التفكر التأمل، والفكر إعمال الخاطر في شيء"[64].

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النحل: 44)

التفكر "على وزن تفعُّل، يفيد وزن تفعل رجوعا على النفس وانعكاسا، يختلف عن التفكير المشترك بين أفراد البشر؛ **التفكر تناول الأشياء والمعاني من زاوية مرجعيتها إلى الخالق، ومن زاوية معنى وجود الإنسان، ومصيره بعد الموت، ومخلوقيته، ومسؤوليته في الآخرة**. صيغة فعَّل تفعيلا تفيد انصبابا على العالم الخارجي وفعلا فيه[65].

بين حيوانيتين:

عن العقلين المتباينين تنتج منهجيتان، وعن كل منهجية يخرج الكائن الآدمي من طور إلى طور آخر من أطوار الحيوانية، فـ "بالعقل القلبي التفكري يتوَّج المؤمن بإكليل الكرامة الآدمية، المحافظة على الفطرة المتلقية بالقبول والإيمان رسالة الرسل، بينما يُعطي العقل الاصطلاحي، وإن تميز عن الحيوانية الاصطلاحية، للإنسان المفكر التأثير في الكون دون أن يخرجه عن الحيوانية المعنوية التي يقول الله عزّ وجلّ عنها: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

(سورة الأنفال، الآية: 22). يفسرها ويعيِّن المقصودين بها قوله جل من قائل: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (سورة الأنفال، الآية: 55)[66].

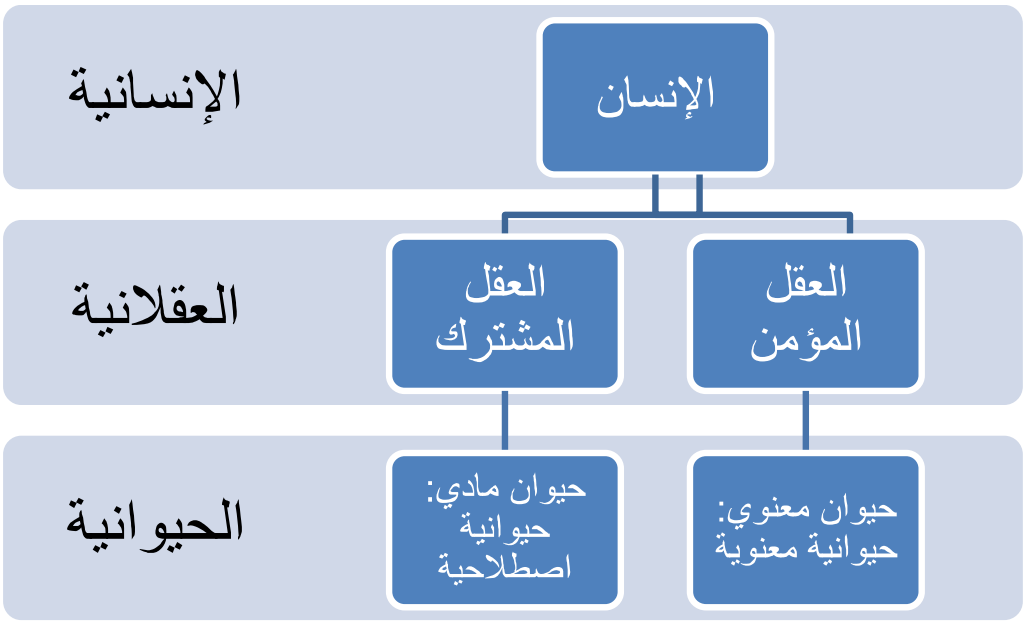

هناك إذن ضربان من الحيوانية:

إحداهما حيوانية اصطلاحية يخرج منها الإنسان بتفعيل عقله المعاشي فيما سخر له.

والثانية حيوانية معنوية لا يخرج منها الإنسان إلا بالعقل الإيماني، ذلك أن الكفر ينزل بالإنسان بمقتضى الآيتين إلى أسفل منزلة من منازل الدوابية وأكثرها ضررا لازما ومتعديا(شر الدواب)، وهذه المنزلة مع حصول أدوات الحس لا يحصل لها من المعارف إلا معرفة المادة، وهي أدنى المعارف وأبسطها على الإطلاق.

يميز ابن القيم بين التفكر والتذكر، فيجعل لكل منهما فائدة غير تلك التي تتوفر للآخر، ويؤكد على تحصيل المعارف المتكاثرة في عملية التفكر، "فالتذكر يفيد القلب على ما علمه وعرفه ليترسخ فيه ويثبت ولا ينمحي فتذهب أثره من القلب جملة، والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلا عند القلب"[67].

وللتفكر فائدة عملية في نظرية المنهاج النبوي إلى جانب فوائده العلمية إذ لا يكون إلا من العقل المؤمن، وهو كما يقول ابن القيم: "يوقع صاحبه على ما لا يوقعه عليه العمل المجرد، فإن التفكر يوجب له انكشاف حقائق الأمور وظهورها له، وتميز مراتبها في الخير والشر، ومعرفة مفضولها وفاضلها وأقبحها من قبيحها، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها، وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجبها، والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه"[68].

في الحاجة لاجتماع العلوم:

يؤمن الأستاذ ياسين بأن العلوم قد جاء عليها حين من الدهر انقسمت وتشظت إما بسبب داخلي دافع كالاختصاص أو بسبب عوامل خارجية كالسياسة والأغراض، لكن هذا التفتت من شأنه أن يبعد هذه العلوم أن تكون مناظير صادقة لنَقْل المعنى والحقيقة ما لم تتظافر وتتوحد من جديد لخدمة ما فيه صلاح الإنسان وترقية إدراكه، وإلا فهي موقعة في اختزالية الحقيقة وتبسيطيتها وانقطاعها عن أصلها الغيبي، وقد سبق لإدغار موران أن تحدث طويلا عن مفهوم الإنسان الذي تفكك إلى علوم وتخصصات منفصلة لم يعد بينها تواصل بسبب الطابع التجزيئي للعلم[69].

وليست هذه الدعوة موجهة للعلوم الكونية وحدها لئلا يصيبها القصور، ولكن الرؤية المطلوبة لا يقدمها إلا اجتماع العلوم الكونية بالعلم بالله والعلم بالغيب الذي يعطيها معنى وتوجها.

فالعلوم الكونية تسحب "على مجال بحثها مقدمة الشك المبدئي الذي هو عماد العلوم التجريبية. لا تعترف العلوم المضبوطة بعلمية شيء إلا إن ثبت بالتكرار إمكان عودة نفس الظواهر بعودة نفس الشروط. ولا تعترف بعلمية ما لا يقع عليه الحس بواسطة الملاحظة المباشرة أو الآلة، أو بواسطة المنطق العقلي الرياضي الذي يلحق بالفرضيات التقديرية الملاحظات العينية فتتأكد علمية الظواهر أو تبطل"[70]. وهي رؤية وضعية تقليدية لا يسعف التطور الذي عرفته فلسفة العلوم في دعمه إلى النهاية مع ما بات يعرف بامتداد الوجود وتداخل المرئي واللامرئي وغيرها من المفاهيم[71].

مهمة الجمع هذه بين العلوم الكونية والعلم الحق أو الروح أو الإيمان لا يملك أي كان من القيام بها، فهي ليست مهمة تقنية محايدة، بل تحتاج إلى مسيرة طويلة في بناء "الشخصية الإسلامية"، تحتاج لبناء العقل المسلم وإعادة تشكيله، العقل الذي لا ينفك عنده هم الدنيا عن هم الآخرة، يطرح الأستاذ ياسين سؤالا جدليا، يقول: "كيف ندخل للإسلام علوم الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والتكنولوجيا، والتاريخ؟ كيف وكل هذه العلوم طُوِّرَتْ في حظيرةٍ لا تدين لله بدين، ولا ترجو له حسابا؟ ثم كيف نربطها بالقرآن ونفرعها عنه وقد شبَّت وشاخت في أحضان قوم لا يومنون بالقرآن، ولا برسالة القرآن، فهي في ذاتها الأصلُ في تقدير الفكر المادي العريق في معرفة الوسائل المبعدِ عن معرفة الغاية؟

يصعُب ربطُ العلوم الكونية بعلم الحق على مَن له فكرٌ وقلبُه مطموسٌ مطبوعٌ عليه من الكافرين، وعلى مَن إسلامُه الفرديُّ في واد، وهمومُه وفكرُه وأهدافُه في واد. إنما يتم ربطُ الوسائل بالغاية، ربطُ علوم الكون بالقرآن، ربطُ استنباط العقل بالوحي المنْزل، على يد، وفي كيان الشخصية المومنة التي انجمع لها وفيها أشواقُ القلب ومحابُّه مع قدرات العقل واليد في محجة واحدة، على صراط الله المستقيم، دليلها المكتوب القرآن، وحجتها سنة النبي الهادي عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم"[72].

عملية الجمع بين العلوم تتم خارج دائرة العلم، بل قبل العلم، أي على مستوى العقيدة التي تسكن العقل وتحدد خريطته المعرفية ورؤيته للعالم، وعنها تصدر ما يسمى "الخلفية الإبستمولوجية" للعلوم.

لغة المعرفة:

هل اللغة وعاء محايد وشفاف في نقل المعرفة؟

لا يُسَلم الأستاذ ياسين بأن اللغات الأجنبية(غير العربية) حين تنقل إلينا المعرفة تنقلها من غير أن تكون مشبعة بالنفس العلماني الذي يقطعها عن"الروح". ولأجل ذلك فهو يرى أن أحد مداخل الشهود الحضاري للأمة نقلها للعلوم إلى لغة القرآن وتطوير هذه المعارف على هدي نور

الوحي. وتلك مهمة"سامية شريفة، مهمة تدريب العربية حتى تصير مستقلة مفتوحة الأبواب على العلوم الكونية والتكنولوجيا، وحتى تتقدم موكب اللغات في مجالات العلوم، إماما لا تابعا، سيدة لا خادمة. تكون إن شاء الله إماما في عالم العلوم يؤهلها لذلك فرادتها بما حملت من رسالة الله تعالى، ويؤهلها خصوبتها، ومرونة اشتقاقها، وثروتها التي لا تطاول.

سيبقى المسلمون لقطاء متطفلين في عالم العلوم والصنائع مادام تعليمهم لايرتكز على لغة القرآن في المجالين التربوي القلبي والتعليمي الفكري، مسايرا هذا لذلك، موصولا به مستقيا من مبناه ولفظه ومعناه.

مقدمة لا بد منها إن أردنا أن نطوع عالم الأشياء لمقاصد الإسلام.

صياغة للعلوم بلغة القرآن لا بد منها إن طمعنا في غاية الإنسان والعالم، وطبعها بطابع القرآن وصياغته. تبليغ رسالة لا إكراها وبطشا.

المتسكع على موائد الآخرين الضعيف المتطفل أنى تسمع كلمته– وقد يعوق السمع منا ومن لغتنا العربية، لغة المسلمين، متقلصة في نطاق قوميتها وعروبيتها، وتخلفها العلومي[73].

هذا الوعي اللساني المؤسس على فلسفة اللغة والقائل بتداخل الفكر واللسان[74] إلى الحد الذي يصعب الفصل بينهما إلا بالتقدم في بناء حصانة تربوية لهوية المتعلم مخافة وقوعه في الاستلاب[75]، جعل الأستاذ ياسين وهو يشرح كلمة للإمام الشافعي رضي الله عنه التي يقول فيها: "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس"، يتحفظ عن الانغماس في التعددية اللغوية من وقت مبكر، بالرغم من اطلاعه وإتقانه أكثر من لغة، وهو يعتبر أن المقصود بلسان أرسطوطاليس "ليس اللغة اليونانية في حد ذاتها، لكن منطق الفلاسفة ومذهبهم. بيد أن مداخلة لسان أعجمي ذي مضمون كفري لا تلبث أن تجر المثقف إلى تشرب روح تلك الثقافة الكافرة. إذ لا يمكن هنا أيضا أن نفصل بين اللغة وما تحمله وتتضمنه من رسالة. فاللغة المادية الإلحادية "جزء ماهية" الكفر. وهنا تعترضنا مشكلة عويصة

لمستقبل الإسلام، وهي كيف نتعلم لغات العلوم ونحذقها دون أن تُعديَنا فلسفة تلك اللغات وكفرها.إن هذه الذريعة الخطيرة المفتوحة في جنب الأمة تدخل إلينا منها رياح الفلسفة المادية، ذريعة وثغرة اللغات الأعجمية، لفي حاجة إلى علاج سريع. والمشكلة ذات حدين: الضرورة الملحة لامتلاك تلك اللغات بصفتها حاملة العلوم والتكنولوجيا، وكيف يمكن أن تقيم حاجزا بين متعلم لغة ما وبين ما تتضمنه من عقائد وقيم ؟ العلاج تربوي شامل، فما لم يتحصن المتعلم من داخله، ما لم يصلب عوده على الاستقامة، وما لم تكتمل شخصيته الإيمانية فتعريضه للاحتكاك بلغة أعجمية مخاطرة"[76].

إن اللغة عند الأستاذ ياسين أحد أهم أجزاء الهوية"إنها تعطي الأنماط التي نفكر فيها، والتي بواسطتها نبني العالم ونتقدم في فهم الدين والدنيا، وهي تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متراصا، إنها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الروح، ببين المنطوقات والمفهومات، إنها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها"[77].

إننا اليوم في مسيس الحاجة بنظر الأستاذ ياسين إلى أن نطور عربيتنا لأن "لغة القرآن هي لغة اللسان والقلب والإيمان"[78]، محتاجون أن نطورها على كافة الصعد لتواكب زمنها تطويرنا ونهوضنا بالحالة الروحية والإيمانية،، لأن العجمة التي أصابت اللسان لم تخطئ الجنان، فنحن اليوم نعيش عُجمتين تدخلان الفساد والوهن على الأفراد وعلى الأمة، نحتاج أن نطور"أداة للتعبير عن العصر دون أن نضيع بعيدا عن لغة القرآن، أن نسعف العقل بأداة إجرائية مع تقوية لغة القلب"[79].

نستمع للأستاذ ياسين يحدثنا في لوعة عما يتهدد وجودنا المعنوي من جانب اللسان: " فوجودنا المعنوي، وعزتُنا، ومستقبلُنا، رهنٌ بأن يعاد لهذه اللغة مجدُها وسيادتُها. وسنبقى صُما عن معنى ديننا إن لم نُتْقِن لغة القرآن، بُكْماً عن تبليغ دعوة الله إن اخترنا رَطانَة الأعْجام على اللسان العربي المبين، عاجزين كَسِيحينَ عن استنقاذ العلوم الصناعية الكونية وتوطينها إن لم تكن لغتُنا واحدةً قويةً فصيحةً في كل الميادين. ولقد كادت العربية بما همشها وعاداها المتفرنجون أن تصبح لغة كَهَنوتية في الكتب الفقهية وعلى منابر الوعظ الوديع المِسالم، أو لغةَ صَحافة

يقودُها من أنفها أولادُ النصارى العربِ إلى الهُجانة والرَّطَانَةِ. لا وجودَ للعربية، ولا يكادُ، في مختبرات العلوم، وملتَقيات الخُبراء، ودروسِ التخصص العالي. وحتى في ميدان اللغة العربية الأصليِّ، وهو فهم القرآن والحديث، واستنباطُ الأحكام لا تجد تلك الفعالية المطلوبةَ، لأسباب أهمُّها تنحيةُ الشريعة من حياة المسلمين العامة، وفسادُ المَلَكَةِ اللغوية التي تُعَد من المقوِّمات الأساسية للاجتهاد"[80].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

1- ياسين، عبد السلام. الإسلام غدا، الدار البيضاء: مطابع النجاح 1973، ص17.

2- العقل الجبار هو العقل الوضعي النفعي المقابل للعقل المؤمن الذي يصنعه القرآن، وقد أفاض عنه الأستاذ ياسين في تفصيل ملامحه ونقده، يراجع: الإسلام والحداثة، ط1، مطبوعات الهلال، وجدة، 2000، ص196، وإمامة الأمة، دار لبنان للطباعة والنشر، ط1، 2009، ص124، والإحسان، ط1، دار الأفق، البيضاء.1998، ص30.

3- الكواكبي عبد الرحمن. طبائع الاستبداد، مصر: الهيئة العامة للكتاب 1993، ص26.

4- ياسين، عبد السلام. المنهاج النبوي، ط1، البيضاء، ص300.

5- يراجع:

Yvon Quiniou, 2004, Athéisme et matérialisme aujourd'hui, Pleins Feux

André Comte-Sponville, 2006, L'esprit de l'athéisme, Éditions Albin Michel.

6- ياسين، عبد السلام. حوار الماضي والمستقبل، الدار البيضاء: مطبوعات الأفق، ط1، 1997، ص21.

7- ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة، م.س، ص158.

8- ياسين، عبد السلام. القرآن والنبوة، دار لبنان للطباعة والنشر، ط1، بيروت. 2010، ص28.

9- ياسين، عبد السلام. العدل، مطبوعات الأفق، ط1، الدار البيضاء.2000، ص223.

10- ياسين، عبد السلام. العدل، ص479.

11- عن ذهنية المطالبة والواجب يراجع :ياسين، عبد السلام. المنهاج النبوي، ص 243.

12- مالك بن نبي. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، ط1، 1988، ص 100.

13- ياسين، عبد السلام. الإحسان، م.س، ج 1ص98.

14- مانويل، دودكيز. العقل وأوثانه: نقد فلسفي للعقل، ترجمة تقديم وترجمة عبد الله زارو، ضمن فكر ونقد، ع4، ص84.

15- ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة، م.س، ص 125.

16- حسين، علي حسن. الأسس الميتافيزيقية للعلم، القاهرة: دار قباء للطباعة، 2003، ص12.

17- لابد من التذكير بأن الأستاذ ياسين يميز بين العلمانية واللائيكية، وعنده أن اللائيكية هي أشد شراسة في التعاطي مع المسألة الدينية، يقول:"اللائيكية قلب الحداثة الفرنسية، أما العلمانية -الشكل الأخَفُّ والأكثر تصالحية لفصل الدولة عن الكنيسة- فتمثل الطريقة الحديثة لأن تكون ديموقراطيا ومتسامحاً في مذهب الأوربيين الآخرين.إقصائية لائيكية مناضلة في فرنسا وعلمانية مسالمة في البلدان الأوربية، ذلك أن الرفض العنيف للكنيسة الكاثوليكية تم منذ قرنين في باريس وليس في برلين أو لندن."يراجع: الإسلام والحداثة، ص68.

18- ياسين، عبد السلام، إمامة الأمة، م.س، ص160.

19- ياسين، عبد السلام، محنة العقل المسلم، مؤسسة التغليف والطباعة والتوزيع للشمال، ط 1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ص87.

20- ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، م.س، ص146.

21 -Einstein, Albert ; Comment je Vois Le Monde, Traduit par Mairice Solovine et Regis Hanrion ; Champs Flamarion, 1979, p 188.

22 -L'homme de science aujourd'hui connait vraiment un destin tragique.

23- إيريش، كيستنر. مدرسة الدكتاتور، ترجمة إقبال القزويني، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2003، ص74-83.

24- ياسين، عبد السلام. حوار الماضي والمستقبل، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء.1997، ص154.

25- ياسين، عبد السلام. التنوير، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت. 1996، 113/1. ومحنة العقل المسلم، م.س، ص92.

26- جاك، إلول. خدعة التكنولوجيا، ترجمة فاطمة نصر، القاهرة: مكتبة الأسرة،، ص123.

27- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، 33/1

28- ياسين، عبد السلام. التنوير، م.س، 251/2.

29- ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، م.س، ص 144.

30- ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، م.س، ص 144.

31- ياسين، عبد السلام، المنهاج النبوي، م.س، ص219.

32- طه، عبد الرحمن. الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، بيروت:المركز الثقافي العربي، ط1، 2005، ص47-48.

33- ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة، م.س، ص104.

34- طه، عبد الرحمن. سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، ص 133.

35- ياسين، عبد السلام. في الاقتصاد، مطبوعات الأفق،، ط1، الدار البيضاء. 1995، ص131.

36- ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة، م.س، ص 103.

37- ياسين، عبد السلام. الشورى والديمقراطية، مطبوعات الأفق، ط1، الدار البيضاء. 1996، ص200.

38- المسيري، عبد الوهاب. دراسات معرفية في الحداثة الغربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2006، ص354.

39- ياسين، عبد السلام. محنة العقل المسلم بين سيادة الوحي وسيطرة الهوى، م.س، ص 120.

40- ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة، م.س، ص151.

41- ياسين، عبد السلام. القرآن والنبوة، م.س، ص 23.

42- يقول باولو كويلو في روايته الخيميائي:" إن كل شيء في الحياة إشارة، والكون مخلوق بلغة يفهمها جميع البشر، ولكن البشر نسوها"، ص87.

43- طه، عبد الرحمن. اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص ط1، 1998، ص21.

44 - Blaise Pascal, Pensées,suivies d'une nouvelle table analytique, Lebrerie d'emler frére, p353.

45 - Ibid;p152

46- ياسين، عبد السلام. محنة العقل المسلم، م.س، ص 93. التنوير، م.س، 1/ 251، الشورى والديمقراطية، م.س، ص64.

47- ياسين، عبد السلام. حوار الماضي والمستقبل، م.س، ص240

48 - ياسين، عبد السلام. التنوير، م.س، 249/1. الشورى والديمقراطية، م.س، ص65. محنة العقل المسلم، م.س، ص 5. حوار مع صديق امازيغي، م.س، ص 55. العدل، م.س، ص305.

49- ياسين، عبد السلام. حوار الماضي والمستقبل، م.س، ص139

50- ياسين، عبد السلام. محنة العقل المسلم، م.س، ص 25.

51- ياسين، عبد السلام. محنة العقل المسلم، م.س، ص 4

52- ياسين، عبد السلام. محنة العقل المسلم، م.س، ص7.

53- ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، م.س، ص 138.

54- السهروردي، عمر شهاب الدين. كشف الفضائح اليونانية ورشف النصائح الإيمانية، تحقيق عائشة يوسف المناعي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ط2، 2010، ص166.

55- ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، م.س، ص 139.

56- ياسين، عبد السلام. حوار الماضي والمستقبل، م.س، ص 160.

57- ياسين، عبد السلام. حوار الماضي والمستقبل، م.س، ص224.

58- ياسين، عبد السلام. الاحسان، م.س، 308/1.

59- ياسين، عبد السلام. التنوير، م.س، 259/1

60- ياسين، عبد السلام. العدل، م.س، ص 144.

61- نذكر بأن ولي الله الدهلوي سبق إلى هذا التقسيم، يراجع: حجة الله البالغة، تحقيق السيد سابق، دار الجيل، ط1، 2005.ص 153و التفهيمات الإلهية، طبعة الهند، مطبوعات المجلس العلمي دابهيل سورت رقم18، س1355هـ. (ج86/2).

62- ياسين، عبد السلام. الإحسان، م.س، 1/ 305.

63- جهاد، نعمان، في العمارة الفلسفية، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والدراسات والتوزيع، ط1، 1990، ص136.

64- ابن منظور، لسان العرب، مادة(فكر)، 65/5.

65- ياسين، عبد السلام. الإحسان، م.س، 1/ 305.

66- ياسين، عبد السلام. الإحسان، م.س، 1/ 305.

67- ابن قيم، الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1970، 183/1.

68- ابن قيم، الجوزية، مفتاح دار السعادة، م.س، 180/1

69 - إدغار، موران. النهج، إنسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، ط1، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي.2009، ص70.

70- ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، م.س، ص 147.

71 - Ramon Martinez, Du Regard A la Contemplation, Itinéraire de la vie dans l'esprit, Brech Théologique, 1953, p7.

72- ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة، م.س، ص159.

73- ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، م.س، ص 161.

74- يراجع: ليف فيكوتسكي، اللغة والفكر، النظرية الثقافية التاريخية، ترجمة عبد القادر قنيني، البيضاء: إفرقيا الشرق 2013.

75- يراجع في شأن التداخل:

Gobard,H; L'Alienation Linguistique, Flammarion, paris,1976.

76- ياسين، عبد السلام. الإسلام والقومية العلمانية، ط1، 1989، ص11.

77- بلحبيب، رشيد."لغة القرآن الكريم في كتابات الشيخ ياسين"، ضمن مؤتمر مركزية القرآن الكريم في نظرية المنهاج النبوي عند الأستاذ ياسين، اسطنبول، 2012، 264/2

78- ياسين، عبد السلام. المنهاج النبوي، ص147.

79- ياسين، عبد السلام. الإسلام والقومية العلمانية، م.س، ص 22.

80- ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة، ص186-187.